علبة الصفيح

للكاتب المكسيكي : بي ترافن

ترجمة : صالح الحافظ

كان للفلاح الهندي ايليزيو كولاردو ثلاث بنات جميلات في سن الزواج ، عمر الكبرى ست عشرة والصغرى ثلاث عشرة .

وفي احد الايام قدم لزيارة ايليزيو شاب عزب هو نتاليو سلفاتور الذي امضى عدة اسابيع يعمل في الغابة المجاورة موفرا بذلك خمسين (بيزه) من اجوره التي تقاضاها عن حرق الفحم . وبعد أن اشترى قميصا قطنيا جديدا وسروالا وقبعة من الليف ودفع مصاريف المأكل والمسكن لم يبق لديه سوى القليل .

وفي حفلة الرقص التي اقيمت في القرية السبت الماضي رأى نتاليو بنات كولاردو الثلاث الجميلات ، لكنه لم يحظ باكثر من رقصة واحدة مع كل منهن ، فقد كان الشبان الآخرون أسرع منه على الدوام واكثر عزما اذ كان نتاليو شابا من النوع الذي يفكر طويلا قبل ان يبت بامر ما .

امضى اليوم التالي كله ، يوم الاحد ، يقلب الامور على وجوهها ، وأخيرا بعد أن توصل الى فكرة معينة امضى أيام الاثنين والثلاثاء والاربعاء في تمحيصها وتدقيقها وفي يوم الخميس اختمرت الفكرة في رأسه . وما ان حل يوم الجمعة حتى اتضح له ما يريد بصورة جلية .

وهذا ما حدا به يوم السبت الى زيارة ايليزيو ابي البنات الثلاث . وما ان استقر في مقعده حتى سأله ايليزيو :

ـ حسنا ايها الشاب . اي الثلاث تريد ؟

ـ تلك .

اجاب نتاليو واوما برأسه نحو سابينا التي كان عمرها اربع عشرة وهي اجمل الثلاث صدرا .

ـ هذا ما كنت اتوقعه .

قال ايليزيو :

ـ .. انها تناسبك تماما . لست كثير الغباء ، وبالمناسبة ما هو اسمك ؟

وبعد ان اعطى نتاليو اسمه الكامل الذي استطاع ان يتلفظه ولكنه لم يكن بمقدوره ان يكتبه او يتهجاه ، سأله ابو البنات عن المبلغ الذي يملكه .

ـ عشرين بيزه .

ـ قال نتاليو ، وكان هذا المبلغ ضعف ما كان يملك حقا .

ـ اذن انت لا تستطيع ان تأخذ سابينا .

قال السيد كولاردو :

ـ .. اني بحاجة الى سروال جديد . وعجوزي لا تملك حذاء من اي نوع كان . اذا شئت ان تبدو محترما وتطلب يد سابينا فلا تتوقع من والديها ان يظهرا في اسمال قذرة امام الناس . أتعرف ما هو مركزنا الاجتماعي في هذه القرية ؟ على اي حال عليك أن تشتري لي سروالا جديدا وزوجا من احذية الخيش الابيض او الاسمر للعجوز والا فلا مكان لك بين عائلتنا . اعطني قليلا من تبغك .

وبعد ان لفت السكائر واشعلت قال نتاليو :

ـ حسنا يا دون ايليزيو ، سارضى بتلك الفتاة .

واشار هذه المرة الى فلومينا اكبر الثلاث سنا .

ـ انت حاذق يا نتاليو . اين تعمل ؟

ـ عندي عربة وحمار قوي وفاره ايضا .

ـ بـلا حصان ؟

ولقد انزعج نتاليو كثيرا من هذه الاسئلة التي تناولت وضعه المالي فبصق عدة مرات على ارضية الكوخ قبل ان يستأنف الكلام قائلا :

ـ لي عم يعمل في احد المناجم فرب بارال ، وهناك ما يزيد على مئة منجم وحال حصولي على امرأة ساكون في طريقي الى العمل هناك . أن عمي سيدبر لي عملا فهو صديق احد الملاحظين المتنفذين هناك .

ـ آه . نعم .

قال ايليزيو :

ـ ماذا تعتقد يا دون نتاليو ؟ ان المرء ليستطيع أن يحصل على ثلاث بيزات يوميا في تلك المناجم .

ـ ثلاث بيزات في اليوم نقود محترمة .

قال ايليزيو :

ـ .. ولكن بيزاتك العشرين البائسة التي بحوزتك الان لا تدعو الى الفخر كثيرا ، وبهذه النقود القليلة لن نستطيع أن نهيىء عرسا.

ـ لـم لا ؟

تساءل نتاليو .

ـ .. فالعرس لا يكلف كل تلك النقود . قسيس ؟ حسنا . من المؤكد اننا لا نستطيع ان نتكلف بذلك ، لذا فيتوجب علينا ان نستغني عن الكنيسة . اما بخصوص شهادة الزواج فلن يكون باستطاعتنا ان ننفق عليها شيئا ، أليس كذلك ؟

ـ انت محق يا نتاليو . ليس هناك ما يكفي لمثل هذه الاشياء من نقود في العالم كله . ومع ذلك فليس لهذه الامور اي تأثير على الزواج على اية حال .

ـ الحق . ان تأثيرها ضئيل جدا .

قال نتاليو :

ـ ستهيىء موسيقيين طبعا على الاقل لحفلة الرقص .

قال ايليزيو :

ـ .. وعليك احضار ثلاث زجاجات من مشروب (المسكال) والاحسن اربع زجاجات والا فان اهل القريه هنا سيلوكوننا بالسنتهم. وقد يدعون بأن فيلومينا لم تتزوجك قط وانما هربت معك كأية فتاة فاجرة . وليكن معلوما لديك بأن اشياء كهذه لا تحدث في أسرتي.. لسن بناتي .. لا يا سنيور . نحن أناس شرفاء . لا تظن ان احدى بناتي ستهرب معك دون موافقة خاصة وقد يتحتم عليك ان تنتظر ألف عام قبل ان يحدث شيء كهذا في اسرتي . ليس وأب مثلي هنا . لا يا سنيور . ليس معنا .

واكمل الرجلان مفاوضاتهما في ساعتين اخريين شربا خلالهما عدة اكواب من القهوة ودخنا معظم تبغ نتاليو . وفي النهاية قر رأي نتاليو

حتى العودة الى القابة ليحصل على تكاليف الموسيقيين وزجاجات المسكال ورطلين من القهوة وستة أرطال من السكر الاسمر . وزوج احذية من الخيش للام وسروال للاب .

وبالاضافة الى ذلك أشار ايليزيو الى ضرورة تخصيص بيزتين للخبز الحلو ليؤكل مع القهوة من قبل النساء والاطفال الذين سيحضرون حفلة العرس .

ـ وفي الحقيقة أن القرية كلها ستحضر العرس ، واذا وفرنا بعض البيزات للضيوف غير المتوقعين من القرى المجاورة فسيرفع ذلك من سمعة العائلة .

عندما تمت الصفقة وقبل نتاليو كل الشروط المقترحة من الاب دعوه الى السكنى مع العائلة ولكن عليه أن يدفع ثمن ذلك طبعا ، أما الايجار فسيكون أقل مما كان يدفع بمقدار الثلث . سيكون مسكنه في زاوية ما من الكوخ المبني من اللبن ذي الغرفة الواحدة .

ودفعا لما قد يستجد من صعوبات ومضايقات فقد سمحوا لفيلومينا أن تنام في نفس الزاوية ، على أن يشتري لها نتاليو بطانية جديدة .

وافق نتاليو على ذلك وأسرع الى أقرب مخزن عام واشترى لها بطانية جديدة بازهى الالوان ثم اشترى زجاجة من المسكال ليحتفل باتمام الصفقة وعاد الى الكوخ .

طيلة الوقت الذي كان الرجلان يتفاوضان فيه حول الموضوع كان كل أفراد العائلة حاضرين وبضمنهم فيلومينا وقد بدا لهم وكأنه صفقة تجارية صرفة .

وبعد أن شرب كل واحد منهم كأسا من المسكال سأل الوالد فيلومينا عما يختلج في صدرها فقالت :

ـ كم أود الذهاب الى بارال .

كان يعوز نتاليو العشر بيزات التي ادعى أنها في حوزته . وخلال عمله في الغابة هذه الاسابيع الثمانية تمزق قميصه الجديد وسرواله بالرغم من اعتنائه بهما ، فعليه أن يشتري قميصا وسروالا جديدين للعرس . ولهذا السبب اكتشف الفلاح الاميركي في عزبته القريبة من القرية .. اكتشف في أحد الايام اختفاء بقرتين من أحسن أبقاره .

انتهت رقصة العرس . وكان السيد كولاردو ثملا تماما ، لكن لم يبلغ به السكر الى الحد الذي ينسى فيه الاهتمام بسرواله القطني الاصفر الجديد فيتلوث بالطين . ولبست زوجه حذاءها الجديد من الخيش الاسمر في الساعة الاولى من الحفلة فقط ثم لفته بالورق ووضعته في الصندوق المقوى الذي بيع فيه . كانت فخورا بأنها تملك كنزا كهذا فأخفته جيدا بعيدا عن متناول أيدي بناتها .

سارت الامور على ما يرام كما قدر لها تماما وأصبحت فيلومينا الان محترمة من الجميع . فهي زوج نتاليو وليس لاحد أن يشتهيها أو يحاول خطفها .

حمل نتاليو في عربته بطانيتيه الاثنتين واناء القهوة وحقيبته الصغيرة المصنوعة من الليف التي حوت الحاجيات وقدومه وفأسه وفيلومينا ورحل الى المناجم .

لم يكن له عم هناك . كانت هذه احدى كذباته العديدة ليكسب ثقة والد فيلومينا . ولاستعداده لقبول أي عمل بصرف النظر عن مدى صعوبته فقد وجد له عملا قبل مرور أسبوع واحد . لم يحصل على ثلاث بيزات في اليوم طبعا . كل ما حصل عليه كان بيزتين الا ربعا . وفي أوقات فراغه بنى نتاليو لنفسه كوخا بسيطا من اللبن كثير الشبه بالاكواخ الاخرى في القرية . وفي هذا الكوخ عاش هو وفيلومينا كأي عامل منجم متوسط الحال مع زوجه . كانت تطبخ له وجبات طعامه وتغسل له ملابسه وترفع له قميصه وسرواله وتدفىء له فراشه في الليالي الباردة .

كان سعيدا جدا . أجل كان نتاليو سعيدا جدا ولم يبد على فيلومينا انها كانت تشكو شيئا . كان يمكن لهذه الحال أن تستمر مدى الحياة لو لم يحدث لاحد عمال المناجم الشبان أن يكتشف شيئا في فيلومينا .. شيئا خاصا ورائعا .. شيئا ربما لا يخطر ببال نتاليو أبدا . كان ذلك عندما عاد نتاليو من العمل في احدى الليالي ولم يجد زوجه في عشه . ولما كانت قد أخذت البطانية الجميلة والفساتين الموسلين الثلاثة ومشطها وكل الاشياء التي كان قد اشتراها لها فقد علم انها ذهبت بلا رجعة .

كانت أكواخ القرية تبنى بدون عناية كافية ومن مادة بائسة بحيث انها لا تستر ساكنيها كثيرا .

كانت الاكواخ بلا نوافذ ، ولذلك فان الابواب كانت تبقى مفتوحة على الدوام الى وقت النوم . وهكذا لم يصادف نتاليو كبير عناء في العثور على الكوخ المطلوب . ومن خلال حائط الكوخ هذا بالذات الذي كان مصنوعا من نسيج خفيف من العصي والاغصان رأى نتاليو فيلومينا جالسة قرب من اختارته حديثا والسعادة بادية عليها . كان من السهل على نتاليو أن يلحظ عليها البهجة والسرور مع رجلها الجديد . لم يسبق أن نظرت اليه أو داعبته كما تفعل الان مع حبيبها المفضل . كان هناك في الكوخ زوجان آخران من الشباب . وبالرغم من كثرة الكلام والضحك فان نتاليو لم يسمع اسمه يذكر قط . لقد تجاهل هؤلاء الشباب وجوده كما لو كان ميتا منذ زمن طويل .

عندما أقنع نتاليو نفسه بأن فيلومينا كانت آنئذ في سعادة غامرة وغارقة في الحب بحيث لا يخطر ببالها أن تعود اليه ، قرر أن يضع حدا لهذا الجانب من حياته ، فذهب الى مخزن الحبوب حيث تحفظ المتفجرات وزحف تحت جدار الصفيح وسرق بعض الديناميت وفتيلة احتراق . وما أن عاد نتاليو الى كوخه حتى شرع يشتغل بدأب وصبر . وبفضل الذكاء الذي يتميز به الهندي الباحث عن الثأر صنع قنبلة واستعمل علبة معدنية فارغة وجدها قرب المخزن الكبير غلافا لها .

وحال انتهائه من صنع القنبلة عاد نتاليو الى الكوخ الذي وجد فيه فيلومينا مع عشيقها . كان الازواج الثلاثة ما يزالون هناك . وبدوا له أكثر حيوية وبهجة من ذي قبل . كان عشيق فيلومينا يعزف آلة بفمه وفيلومينا متعلقة به . وكل المظاهر تشير الى ان الازواج الثلاثة معتزمون أن يطيلوا الحفلة حتى ينصرف الرجال الى عملهم ثانية في الصباح .

لم يجد نتاليو صعوبة في رمي القنبلة المشعلة من فتحة الباب . وبعد أن فعل ذلك عاد الى كوخه واضجع لينام وهو راض لاعتقاده بأنه قد بذل قصارى جهده لصنع أقوى قنبلة . أما النتيجة فلم تكن تعنيه كثيرا . اذا انفجرت القنبلة ، وهذا ما كان متوقعا ، فسيكون كل شيء على ما يرام واذا لم تنفجر فسيكون كل شيء على ما يرام أيضا . فقد اعتبر ان انتقامه قد تم بمجرد صنع القنبلة ووضعها في مكانها الصحيح . أما ما سيحدث فيما بعد فقد تركه للمقادير . ومن الان فصاعدا سنكون فيلومينا ورجلها الجديد في أمان منه . أما بالنسبة لنتاليو فقد انطوت هذه الصفحة من حياته الى الابد .

ولكن لم يكن الامر كذلك بالنسبة للازواج الثلاثة الذين كانوا في الكوخ . ففي مناطق المناجم يعرف كل امرىء من الهنود رجلا كان أو امرأة معنى أن يرى عند قدميه علبة صفيح قديمة فيها فتيلة ينصاعد منها الدخان . فقد رأى كل من في الكوخ القنبلة وقفزوا خارجا حتى قبل أن تند عنهم صيحة رعب ، لم يستغرقهم ذلك اكثر من نصف ثانية وتبع ذلك حالا انفجار رهيب أرسل الكوخ مئة قدم في الهواء .

من بين الستة الذين كانوا في الكوخ نجا خمسة دون أن يصيبهم خدش ، أما سادسهم زوج صاحب الكوخ الشابة فلم يحالفها الحظ كثيرا . فقد كانت هذه المرأة في اللحظة التي شوهدت فيها القنبلة منهمكة في عمل قهوة طازجة في الركن البعيد من الباب . فهي لم تر القنبلة ولم تلحظ انصراف الضيوف الصامت والسريع ، وهكذا فقد

رافقت ألكوخ في سفرته الى الاعلى . ولما لم يكن في مقدورها في مثل هذا الوقت القصير أن تختار قسما معينا من أقسام الكوخ لتسافر معه ، فقد توزعت في عشرين مكانا مختلفا فيما حولها .

وبعد يومين قدم أحد وكلاء الشرطة الى المنجم ليرى نتاليو وليسأله عما يمكن أن يعرفه عن الانفجار . واستجوب الوكيل نتاليو في مكان عمله الذي كان يحفر فيه ، لكن نتاليو لم يسمح لنفسه أن يقاطع بصورة جدية ولم يشرف ألوكيل بالجواب على أسئلته الا عندما توقف ليمسح العرق عن وجهه وليلف له سيكارة . عندئذ وجه اليه الوكيل هذا السؤال :

ـ أنت الذي رميت القنبلة في كوخ اليجو كريسيو ، أليس كذلك؟

ـ هذا صحيح .

أجابه نتاليو .

ـ ... ولكن لا شأن لك بذلك .. انها مسألة عائلية بحتة .

ـ لقد قتلت امرأة بتلك القنبلة .

ـ أعرف ذلك . لا حاجة بك لاخباري . انها امرأتي ولي الحق أن أفعل بها ما أريد ، فهي تحصل على وجبات طعامها وكل ملابسها مني ، وأنا الذي دفعت للموسيقي يوم العرس . والان لم يبق هناك ديون . لقد صفي الحساب .

قال الوكيل :

ـ ولكن المشكلة هي أن التي ماتت ليست امرأتك ، لقد كانت امرأة كريسيو .

كان نتاليو يعرف عما يتحدث . لم يكن ما ذكره لغوا بل حقيقة.

ـ حقا ؟ اذا كانت امرأة كريسيو هي المقتولة فليس لي أية علاقة بالموضوع . فأسرة كريسيو لم تسيء الي قط ، وفي مثل هذه الحال فان القدر وحده هو المسؤول . وأنا لست مسؤولا عما يفعله القدر في هذه القرية . امرأة كريسيو امرأة بالغة تستطيع أن تعنى بنفسها وهي لا تحتاجني لكي أحميها . لو كانت حذرة لما حدث لها ذلك . أنا لست وصيا عليها كما اني لست زوجها . وأنا لا أهتم قلامة ظفر بالنساء اللواتي لا يعتنين بأنفسهن .

رمى نتاليو سيكارته وحمل مجرفته وهوى بها على الصخور بعنف ، متظاهرا بأن لديه شغلا مهما عليه انجازه وليس بوسعه تضييع وقته بكلام فارغ لا يعنيه .

بعد ستة أسابيع طرحت القضية على القضاء وأحيل نتاليو بتهمة القتل ، ولو ان المادة لم تذكر .

تألف المحلفون من رجال القرية . كان اثنان منهم ملاحظين في المناجم ، وواحد نجارا واخر قصابا واخر خبازا وآخرون كانوا اصحاب مخازن وأصحاب حانات ، لم يكن هناك بينهم من يهتم بادانة نتاليو . كان الكل يعتمد على بقاء عمال المناجم في العمل ، فليس باستطاعتهم الربح من عمال المناجم وهم في السجن .

ان أصدقاء نتاليو قد نصحوه بأن يلتزم الصمت قدر الامكان وعلموه في حالة اضطراره الى الاجابة على أي سؤال أن لا يقول شيئا على الاطلاق غير « لا أدري » .

وافقت هذه النصيحة نتاليو كثيرا . كان يكره استعمال راسه ومجرد استعمال « لا أدري » ما احتاج الى عمل على الاطلاق . لم يكن يهتم كثيرا بمصير محاكمته . فاذا أدين وأرسل الى السجن ، حتى اذا حكم عليه بالرمي فسيكون ذلك على ما يرام ، أما اذا أخلي سبيله فسيعود الى عمله الذي كان يحبه كثيرا . لف سيكارة ولم يبد عليه أي نوع من التأثر ولم يهتم أبدا بالتحضيرات القائمة في قاعة القرية المتهدمة .

وأخيرا هيىء المسرح . كان جميع من في قاعة المحكمة يدخنون السكائر بضمنهم القاضي والمدعي العام والمحلفون وعمال المناجم البالغ عددهم حوالي نصف دزينة .

لم يقدم هؤلاء المشاهدون لاهتمامهم الحقيقي بالمحاكمة ، وانما لكونهم عاطلين عن العمل بسبب الاصابات التي تعرضوا لها أثناء عملهم في المناجم . ولم يكن هناك مكان آخر يقضون فيه وقتهم . كانوا يفضلون أن يتسكعوا في الحانات لكن النقود كانت تعوزهم . كان بعضهم معصوبي الرأس أو الوجه وكان البعض الاخر قد علقوا أيديهم برباط الى أعناقهم . وأحدهم يتوكأ على عكاز .

وقف المدعي العام وقال :

ـ لقد قدم المتهم اعترافا كاملا ، وكان معاون الشرطة الذي استجوبه بعد حدوث الجريمة بيومين حاضرا لتقديم شهادته اذا سمح جنابكم وأصحاب السيادة المحلفون .

كان المدعي العام متأكدا أنه بصدد قضية واضحة لن تتطلب منه كبير عناء للحصول على ادانة المتهم ، والذي كان يهمه في الحقيقة خوفه من أن يفوته القطار للعودة الى المدينة . وكان هذا يعني قضاءه الليلة في هذه القرية الصغيرة البائسة والقذرة .

بدأ المحلفون يشعرون بكراهية للمدعي العام ، استاءوا من كبريائه وما كان يبديه من أحتقار للقرويين وخاصة عمال المناجم . وقد لاحظوا تأففه عندما كان حذاؤه يغوص في الطين كل بضع خطوات في طريقه الى المكان الذي طلب منه الذهاب اليه . أراد المحلفون أن يتأخر المدعي العام المتسلط عن قطاره ويذهب الى بيته مغلوبا من قبل الرجال الذين احتقرهم ، لذلك فقد أصروا على التمسك بحقهم في استجواب المتهم والشهود اذا ما لمسوا في ذلك ضرورة لقضيتهم ، واذا ما استفاد نتاليو من ذلك فهو خير على خير .

لقد اعجب المحلفون بنتاليو فقد كان هادئا جدا ورابط الجأش .

رحب القاضي بهذه المناقشات والاعتراضات غير المعهودة من قبل المحلفين ، كان عليه ان يقضي الليلة على اية حال فقد كانت لديه قضايا اخرى يمكن النظر فيها. وخففت هذه المناقشات من سير المحاكمة الممل وجعلت النهار يمضي سريعا . واصبح ممتنا لذلك لان قضية نتاليو كانت الوحيدة في ذلك اليوم . ولم يكن لديه ما يعمله بعد انتهائه منها . كان معتادا ان يقضي وقته بالنوم في مثل هذه المناطق ولكنه كان قد اخذ منه قسطا وافرا حتى مله .

قدم احد المحلفين طلبا الى القاضي بسؤال المتهم فيما اذا كان قد اعترف بجريمة القتل فعلا . نهض نتاليو دون اكتراث وقال :

ـ لا ادري يا سيدي .

ثم جلس ووضع السيكارة بين شفتيه .

وطلب محلف اخر ان يرى اعتراف نتاليو الخطي .

انتفض المدعي العام واقفا .

ـ ان هذا التقرير ايها السادة المحلفون مكتوب وموقع من قبل معاون الشرطة وقد اضطر الى ذلك لان المتهم لا يعرف القراءة والكتابة . وفي الوقت المناسب سادعو المعاون ليدلي بشهادته هنا في هذه المحكمة. ان الشاهد ضابط شرطة شريف وموضع ثقة وله سجل ممتاز واعوام طويلة من الخدمة . وليس هناك ما يدعونا الى الشك في تقريره المدون او في نتائج تحرياته الدقيقة في هذه القضية .

ثم انحنى على منضدته الصغيرة وشرع يقلب اوراقه باضطراب واضح .

وتساءل محلف اخر اذا كان هناك ما يدعوه وزملاءه المحلفين الى تصديق كلمة معاون تقاضى راتبه من اموال الضرائب اكثر من تصديق عامل منجم شريف ومتزن مثل نتاليو والذي لم يعش يوما واحدا على اموال دافعي الضرائب . الكل يعرف ان نتاليو كان يكسب عيشه بعرق جبينه وقد انتج بضائع ثمينة لمنفعة الشعب كله .

ثم طلب محلف اخر من المتهم ان يعترف حالا وفي المكان ذاته وامام المحلفين بالذات بانه ارتكب الجريمة التي اتهم بها .

نادى القاضي على نتاليو :

ـ لقد سمعت ما الذي اراده المحلف المحترم . هل قتلت امرأة كريسيو ؟

وقف نتاليو نصف وقفة وقال بهدوء :

ـ انا لا ادري يا سيدي .

هب المدعي العام واقفا ووجه اليه الكلام :

ـ ولكنك رميت القنبلة ، اليس كذلك يا نتاليو ؟

خبرنا بالحقيقة أيها الرجل ، الكذب لن يفيدك ، لقد رميت القنبلة .

قال نتاليو بضجر :

ـ لا ادري شيئا .

وجلس ثانية واخذ يدخن وهو مرتاح الضمير .

لم يناد المدعي العام المعاون كما زعم انه سيفعل اذ عرف انهم سيسألون المعاون عن مصدر رواتبه وانه سيعترف بانها من أموال الضرائب المدفوعة من قبل المواطنين وعندئذ سيسأل المحلفون بصورة جدية تماما عما اذا كان كل من المعاون والمدعي العام يتسلمان رواتبهما من المصدر نفسه ويخدمان نفس السيد . ولن يتورعا عن اتهام عامل منجم شريف خدمة لدوائرهما المحترمة .

اتخذ المدعي العام قرارا بعدم دعوة المعاون الى الشهادة لانه تنبأ بتشويه الحقائق ، وبدلا من ذلك فقد طلب استدعاء فيلومينا مع الاخرين الذين كانوا حاضرين في الحادث . ولما كان هؤلاء الشهود ينتمون الى محيط واحد فقد جاءت شهاداتهم محددة كثيرا حتى ان المحلفين سيضطر الى قبولها بلا مناقشة وعلق المدعي العام امله على فيلومينا . كان واثقا انها ستقول الحقيقة فقد كانت تعرف ان القنبلة كانت تقصدها وانها ستكون بأمان من نتاليو اذا قبع في السجن عدة سنوات .

كانت فيلومينا والشهود الاخرون والناس كلهم يعرفون بان الشخص الذي صنع القنبلة ورماها هو نتاليو ولا احد سواه . كان أهل القرية جميعهم متأكدين من ان نتاليو عرف كيف يذود عن شرفه وينزل العقاب بزوجة خائنة .

كانت خبرة المدعي العام مع أناس امثال عمال المناجم الهنود هؤلاء قليلة فلم يفهمهم جيدا . ولم يكن يعرف بان هؤلاء الجبليين لن يشهدوا ضد احد ابناء جلدتهم في قضية كهذه مهما كانت الظروف ، اذ لهم اراؤهم الخاصة في الخطأ والصواب والعدالة كما كان لهم موقفهم الخاص خارج قاعات المحاكم . ولم يكن هناك ما يضطرهم الى الشهادة ضد نتاليو .

وعلى منصة الشهادة وبلا ادنى تردد اعلن الناس الذين كانوا في الكوخ بانهم لم يروا الشخص الذي رمى القنبلة . وعندما سئلوا من قبل المدعي العام البائس فيما اذا كانوا يشكون بنتاليو اجابوا بان القنبلة ربما تكون مرمية من قبل عشيق سابق لامرأة كريسيو الذي كان معروفا في المنطقة كلها بغيرته وطبعه الحاد .

واضافوا بانه كان رجلا مستعدا لان يفعل اي شيء اذا شعر بالاهانة . وذهبت فيلومينا الى أبعد من ذلك وقالت انها قد عرفت نتاليو جيدا اذ كانت زوجته لمدة سنتين وهي متأكدة كل التأكيد بانه لن يفعل شيئا من هذا القبيل وهو اخر رجل على الارض يفعل شيئا كهذا كما ان نتاليو لم تكن لديه اية علاقة بامرأة كريسيو وانها لا يمكن ان تتصور بانه قصد ايذاءها . واختتمت شهادتها بقولها ان نتاليو لم يكن ذا طبع حاد وعنيف بل على العكس كان اهدأ رجل يمكن ان يمر ببالها .

حدق المدعي العام بفيلومينا غير مصدق وقال :

ـ الادعاء العام يطلب الاستراحة .

والى هذه اللحظة لم يكن محامي نتاليو الذي وكلته الحكومة قد نبس ببنت شفة ، والان نهض وقال :

ـ الدفاع يطلب الاستراحة ايضا .

انفض المحلفون وعادوا بعد اقل من نصف ساعة فقد كانت لديهم اعمال اخرى . ونهض الملاحظ وقال :

ـ غير مذنب .

اطلق سراح نتاليو حالا وذهب مع الشهود وبضمنهم فيلومينا ورجلها الجديد الى اقرب حانة للاحتفال ببراءته . وتناول زجاجتين من المسكال وانتقلت الزجاجتان من فم الى فم ولم يعر احدهم اي اهتمام للكؤوس وبين الفينة والفينة كان احدهم يضع قليلا من الملح بين اسنانه .

وبعد ان فرغت الزجاجتان عاد نتاليو الى عمله . كان هناك بعض ساعات العمل القليلة وهو كعامل منجم شريف لم يشأ أن يتهرب منها .

وفي اول ليلة سبت بعد المحاكمة حضر نتاليو حفلة الرقص في القرية وهناك رقص مع رودسندو أورتيكا التي كانت امرأة شابة فادخلت السرور الى قلبه . وبعد ان رقص نتاليو معها مرتين اكتشف ان اسمها كان لوليتا وانها غير متزوجة من رودسندو أورتيكا وانها لم تكن تعيش معه في كوخه فعاد الى كوخه الوحيد لساعة أو بعض ساعة ليقلب الامور على أوجهها . ثم اتخذ نتاليو قرارا وعاد الى المرأة وذكرها بانه رجل متزن همه ان يبقى في عمله ويحصل على النقود وطلب منها ان تعيش معه كزوجة له فوافقت على ذلك بسرعة .

وصلت لوليتا الى كوخه في اليوم التالي وجلبت معها حاجياتها في كيس سكر وعلقته على الحائط . وما ان أستقرت واجالت النظر فيما حولها حتى نهضت فنظفت الارضية وبدأت باعداد العشاء بينما كانت الفاصوليا على النار ذهب نتاليو الى المخزن العام واشترى لزوجه الجديدة مشطا وفي طريقه وهو خارج من المخزن رأى رودسندو اورتيكا يحدق بتفكير عميق في كومة الاوساخ والعلب الفارغة قرب الباب . تكلم مع رودسندو الا ان الاخير كان ساهما ولم يجب .

ولما عاد نتاليو الى البيت استلقى في نهاية الكوخ وبدأ يحدق في السقف .

ـ انك لا تبدو سعيدا يا نتاليو .

قالت لوليتا :

ـ .. ما سبب ذلك ؟

ـ انك واهمة .

قال نتاليو :

ـ .. أي رجل لا يكون سعيدا مع كنز كهذا .

وضعت لوليتا الفاصوليا التي كانت تتصاعد منها الابخرة على المنضدة وعندما استدارت نحو الموقد رأت في وسط الارضية علبة معدنية كبيرة ملقاة هناك موصولة بفتيلة ينبعث منها الدخان .

رأى نتاليو ذلك ايضا وعندئذ ادرك سبب تحديق رودسندو اورتيكا في كومة العلب والاوساخ بجانب المخزن العام .

هربت المرأة دون ان يصيبها اي اذى . اما نتاليو سلفاتور فلم يبق منه حتى زر قميص لامرأته لتذكره به .

بغداد — ترجمة صالح الحافظ

الموت في الحياة

للشاعر

عبد الوهاب البياتي

الثمن ٢٥٠ ق.ل — صدر حديثا

دار الاداب ـ بيروت